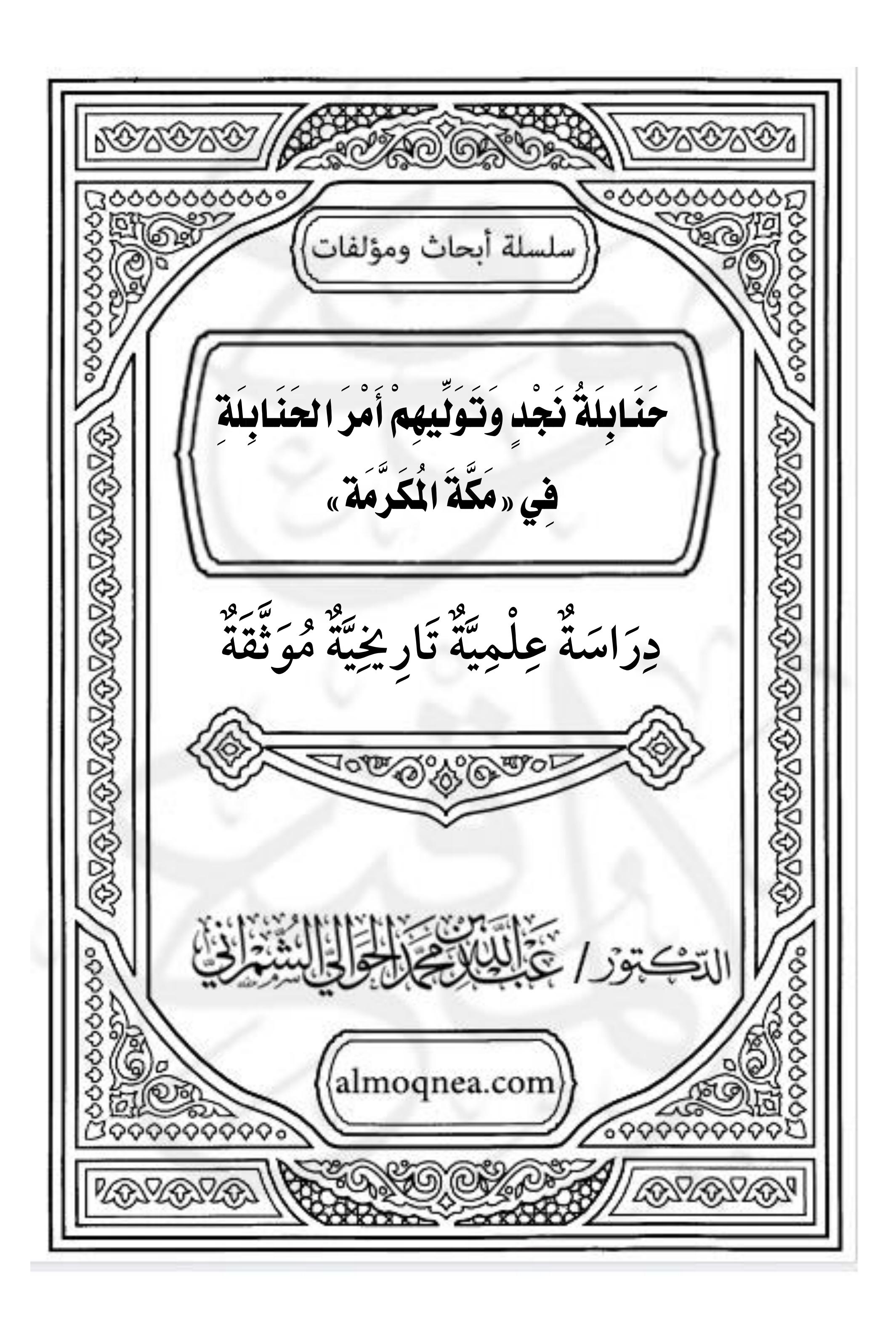
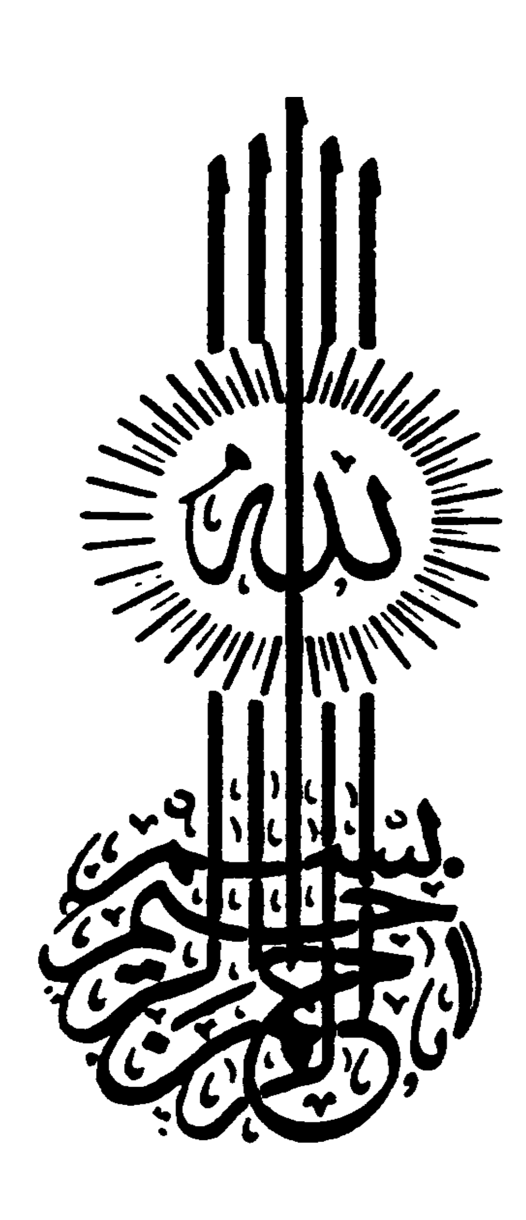

سلسلة أبحاث ومؤلفات
حَنَابِلَةُ نَجْدٍ وَتَوَلِّيهِمْ أَمْرَ الحَنَابِلَةِ
فِي «مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ»
دِرَاسَةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ مُوَثَّقَةٌ
الدكتور/ عبدالله بن محمد الحوالي الشمراني
almoqnea.com



(إِنَّ «المَقَامَ الحَنْبَلِي» مُعَطَّلٌ، مِنْ إِمَامٍ، وَمُفْتٍ..

وَنَحْنُ إِذَا أَرَدْنَا إِمَامًا، وَمُفْتِيًا؛ بَحَثْنَا عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ «نَجْدٍ»).

الشريف عون الرفيق رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفُسِنا، ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنَا، من يهدِه اللهُ، فلا مُضلَ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فلا هادِيَ لَهُ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ، وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أمَّا بعدُ:

فهذه دِراسةٌ عِلميةٌ تاريخيةٌ توثيقيةٌ حول تولِّي «حنابلة نجد»، أمرَ السَّادة الحنابلة في «مكة المكرمة»، وهو أحدُ فصول كتابي «حنابلة نجد»، وسبق أن نشرتُه في مُقدِّمة كتابي «الإمام الحجاوي»، ثم أضفتُ إليه كثيرًا.

وهذا الفصلُ يُعطي صورةً مُشرقةً لآثار «حنابلة نجد» خارج إقليم «نجد»، وجهودَهم في تَوْطِيد «المذهب الحنبلي»، ونشره.

وقد تضمَّن كتابي المذكور، فصلَيْن لجهود «حنابلة نجد»، خارج إقليم «نجد»؛ وهما:

الفصل الأول: جهودِهم وآثارهم في «مكة المكرمة».

الفصل الثاني: جهودهم وآثارهم في غير «مكة المكرمة».

وفي الثاني تطرقتُ لجهودِهم في «الشَّام» و «مصر»، وغيرهما.

أسألُ اللهَ ﷻ أنْ أكون قد وُفِّقْت فيما عملت، وأنْ يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد الله بن محمد الحوالي الشمراني

www.Almoqnea.com

twitter:@Shamrani45

Email: Shamrani45@Hotmail.com

* * * *

[التَّمْهِيدُ]

[١ ـ تَوْطِئَةٌ]:

جهود «حنابلة نجد» وآثارهم في خارج إقليم «نجد»، منَ الأُمورِ التي لم يُعطِها الباحِثون حقَّها منَ البحث والدِّراسة، ولو نظرنا إلى جهودِ المُتقدمين منهم والمتأخرين والمعاصرين؛ لتحقَّق لنا احتياج هذا الموضوع إلى تنقيبٍ، وبحثٍ، ودراسةٍ؛ ومن ذلك جهود وآثار:

١. العلامة، الفقهية: أحمد بن عطوة ت (٩٤٨هـ) في «الشَّام».

٢. العلامة: عثمان ابن قائد ت (١٠٩٧هـ) في «مصر».

٣. الإمام: محمد بن عبدالوهاب ت (١٢٠٦هـ)، في «المدنية المنورة»، و «البصرة».

٤. الإمام: عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٤٤هـ)، في «مكة المكرمة»، و «القاهرة».

٥. الشيخ: عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ ت (١٢٧٤هـ)، في «القاهرة».

٦. العلامة: عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ت (١٢٨٥هـ)، في «القاهرة».

٧. العلامة: عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ت (١٢٩٣هـ)، في «القاهرة».

٨. العلامة: إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (١٣١٩هـ)، في «الهند».

٩. الشيخ: أحمد ابن عيسى ت (١٣٢٩هـ)، في «مكة المكرمة»، و «جدة».

١٠. الشيخ: سعد ابن عتيق ت (١٣٤٩هـ)، في «الهند».

١١. العلامة: محمد ابن مانع ت (١٣٨٥هـ)، في «قطر».

١٢. العلامة: سليمان بن حمدان ت (١٣٩٧هـ)، في «مكة المكرمة»، و «الطائف».

١٣. الشيخ: عبدالله المحمود ت (١٤١٧هـ)، في «قطر».

١٤. الفقيه: علي الهندي ت (١٤١٩هـ)، في «مكة المكرمة».

وهذا أمرٌ يستحق البحث في «أُطروحةٍ» عِلمية، وقد قرأتُ كثيرًا في هذا الباب، ووقفتُ على آثارٍ حميدةٍ[١].

وفي هذه الورقاتِ أعرض لجهود «حنابلة نجد»، وآثارِهم في «مكة المكرمة» فقط، من جهة تولّيهم أمرَ السَّادة «الحنابلة» فيها، وقيامهم بثلاثة واجبات ومهام:

الأول: تولي إمامة «المقام الحنبلي» بـ «المسجد الحرام».

---

(١) مَن أرادَ أنْ يَبحثَ في هذا الموضوع، في رِسالةٍ عِلميةٍ، فليتواصل معي، لأُزوِّدَه بالموادِّ العِلميةِ، والمراجِع، بعدَ أنْ يُثبتَ استعدادَه وجِدّيتَه.

الثاني: التدريس في «المسجد الحرام».

الثالث: تولّي إفتاء «الحنابلة» بـ «مكة».

علمًا بأنَّ هذه الورقات، ليس من شأنها دراسةُ غير هذا الموضوع المُحدَّد، فلا أَدرسُ فيها، وجودَ «حنابلة نجد» في «مكة»، ولا وجودَ «المذهب الحنبلي» فيها، فهما أمران خارجان عن إطار هذه الورقات.

❊ ❊ ❊ ❊

[٢ ـ مَصَادِرُ الدِّرَاسَةِ]:

تفاصيلُ هذه الدراسة مُستفادةٌ من تراجم أئمة «المقام الحنبلي»، في كتب التاريخ والتراجم، وممن نصَّ على تعيين هؤلاء «النَّجْديين»، وترتيبِهم في موضعٍ واحدٍ:

١. عبدالله مرداد ت (١٣٤٣هـ)، في: «نشر النور والزهر».

٢. عبدالستار الدهلوي ت (١٣٥٥هـ)، في: «فيض الملك الوهاب».

٣. عبدالله البسَّام ت (١٤٢٣هـ)، في: «عُلماء نجد».

٤. محمد القاضي ت (١٤٤٠هـ)، في: «روضة الناظرين»(١).

* * * *

(١) انظر: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤)، و «فيض الملك الوهاب» (٢/ ١٤٢٠)، و «عُلماء نجد» (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، و «روضة الناظرين» (٢/ ١١٤ ـ ١١٥)، و (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧)، كلاهما في ترجمة ابن حُميد، وابنه.

[٣ ـ إِمَامَةُ «المَقَامِ»، وَالإِفْتَاءُ بِمُوْجِبِ «المَذْهَبِ»]:

إمامة «المقام» في: «الحرم المكي»، وظيفةٌ شريفةٌ، وكذا «إفتاء» الناس بموجب مذاهِبِهم، وأصولِها، حتى لا تُحدِثُ لهم الفتوى ـ من غيرِ مذهبهم ـ خللٌ، واضطِرابٌ، عمَّا يُفتون به من علمائهم في بلادِهم، وهما ـ إمامة «المقام» وتولِّي «الإفتاء» ـ مهمّتان شريفتان، لا يليهما إلا كبار الفُقهاء.

وأنا ـ هُنا ـ أتحدَّثُ عن هذا الموضوعِ، من الجانب الوظيفي فحسب، لا من الجانب الشرعي، ولا يخفى على المُطَالِع لحال «الحرم المكي» مُنذ زمنٍ، أنَّ الصلاةَ فيه كانت تُقام بأربعة أئمة، منَ «المذاهب الأربعة».

ولكُلِّ إمامِ مذهبٍ، مقامٌ خاصٌّ باسم المذهب، موجودٌ في جهةٍ من جهات «الكعبة المشرفة»، ويقومُ هذا الإمامُ بإمامة المُصَلِّين، من مُقلِّدي المذهبِ نفسِه، في الصلوات المكتوبة.

وكان توزيع المقامات على النّحو الآتي:

١ ـ «**المقام الحنفي**»؛ موجودٌ في الجهة الشَّمالية، التي فيها «حِجْر إسماعيل».

٢ ـ «**المقام المالكي**»؛ موجودٌ في الجهة الغربية.

٣ ـ «**المقام الشافعي**»؛ موجودٌ في الجهة الشرقية، التي فيها «مقام إبراهيم».

٤ ـ «**المقام الحنبلي**»؛ موجودٌ في الجهة الجنوبية، وهي التي بين «الركن اليماني»، و «الحَجَر الأسود».

ولا شك أنَّ هذه «بدعةٌ» فرَّقتِ المسلمين في صلاتِهم، في أَعظمِ مَوْضِعِ سُجودٍ على الأرض.

وقد أبطل الملك: عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل رَحِمَهُ اللَّهُ هذه العادة، عند دُخولِه «الحجاز» سنة: (١٣٤٣هـ)، وجَمَعَ المُسلمين في الصلاة على إمامٍ واحدٍ، وهي حسنةٌ من حسناتِه(١).

* * * *

(١) تُنظر كُتب تاريخ مكة المتأخرة، وتراجم فُقهائِها، وفي الباب: «وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم»؛ للشيخ: يوسف بن محمد الصبحي، وهو قيِّمٌ في بابِه.

[«حَنَابِلَةُ نَجْدٍ» وَتَوَلِّيهِم أَمْرَ «الحَنَابِلَةِ» فِي: «مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»]

[تَوْطِئَةٌ]:

شُغِلَت وظيفة إمامة «المقام الحنبلي»، وكذا التدريس، وإفتاء «الحنابلة»، أكثر من مرةٍ، بفقيهٍ حنبلي، من أهل «نجد»، واشتهرَ ذلك عند الناس؛ حتى أنَّ أميرَ «مكة المكرمة» الشريف: عون[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، قال بعد وفاة

---

(١) عون الرفيق (باشا) بن محمد بن عبدالمعين بن عون، العبدلي، الحسني (١٢٥٦ ـ ١٣٢٣هـ)، من أُمراء «مكة المكرمة»، كانت له جهودٌ حميدةٌ في هدِم «القِباب» التي على القُبور و «المزارات».

وسيرتُه من خلال كلام إبراهيم رِفْعت باشا، وعنه الزركلي، لم تكن مرضية، ووصَفه بأنَّه كان ظالِمًا، جَبَّارًا، طاغيةً، خافه النَّاسُ، وقد كَتَبَ فيه علماءُ، ووجهاءُ «مكة المكرمة»، إلى «الباب العالي»، يشتكون فيه جوره، ولكن الأمرَ لم يتم، وكَتَبَ فيه أحمد شوقي قصيدةً ميميةً، من قرأها؛ حَشْرَجَ صَدْرُه.

ومما كُتِبَ فيه: «ضجيج الكون من فضائع عون»، و «خبيئة الكون فيما لحق ابن مهني من عون».

قلتُ: من خلال سياق رِفْعت باشا، تَشعر أنَّ في وصفِه للشريف عون مبالغةً، وكانا قد تعاصرا، فاللهُ أعلم ما جرى بينهما.

انظر ترجمته في: «مرآة الحرمين» (١/ ٣٦٦)، و (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٩٥)، و «فيض الملك الوهاب» (٢/ ١٢٥١ ـ ١٢٥٢)، و «الأعلام» (٥/ ٩٧ ـ ٩٨)، وفي الموضع الثاني، من المرجع الأول، سردٌ حرفيٌّ، لنصوص الرسائل التي كُتِبَت فيه.

الشيخ ابن هدود[١] رَحِمَهُ اللَّهُ (سيأتي)، وقد بحثوا عن خَلَفٍ له، فلم يجدوا:

(إنَّ «المقامَ الحنبلي» مُعَطَّلٌ، من إمامٍ، ومُفتٍ، ونحنُ إذا أردنا إمامًا، ومُفتيًا؛ بحثنا عنه، من أهل «نجد»)[٢].

قلتُ: بعدَ البحثِ عمَّن تولَّى «المقامَ الحنبلي»، والتدريس، وإفتاء الحنابلة، بـ «مكة المكرمة» من أهل «نجد»؛ وجمعِهم، وجدتُهم ـ كلَّهم ـ من مدينةِ «عنيزة» من إقليم «القصيم».

أمَّا من تولَّى الإمامةَ، والخطابةَ، والتدريسَ والإفتاء، في «الحرم المكي» بعد عهد الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، فكثيرٌ، ولم أذكرهم؛ لأنَّهم خارج حدود هذه الدراسة، وهم معروفون.

* * * *

---

(١) ستأتي ترجمتُه في موضِعها.

(٢) انظر: «عُلماء نجد» (٦/ ١٩٤)، وانظر (٢/ ١٥٥) من المرجع نفسِه.

[تَسْمِيَةُ مَنْ تَوَلَّى أَمرَ «الحَنَابِلَةِ» فِي «الحَرَمِ المَكِّي» مِنْ «حَنَابِلَةِ نَجْدٍ»]

١ ـ ابن حُمَيد الجدّ(١).

هو العلامة، الفقيه، المؤرخ: محمد بن عبدالله، ابن حُمَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٣٦ ـ ١٢٩٥هـ)، صاحبُ معلمةُ الحنابلة المعروفة بـ: «السُّحب الوابلة».

تولَّى هذه المهمة من عام: (١٢٦٤هـ)، حتَّى وفاتِه (١٢٩٥هـ)، وبداية ولايته، كانت على عهد الشريف: محمد بن عبدالمعين بن عون(٢).

وقد **كانت الفتوى** على مذهب الإمام أحمد ـ قبله ـ **مُعَطَّلَةً** بضع سنين،

---

(١) انظر ترجمته في: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥)، و «فيض الملك الوهاب» (٢/ ١٤١٨ ـ ١٤٢٠)، و «فهرس الفهارس» (١/ ٥١٩ ـ ٥٢٠)، و «الأعلام» (٦/ ٢٤٣)، و «عُلماء نجد» (٦/ ١٨٩ ـ ٢٠٤)، و «روضة الناظرين» (٢/ ٢١٣ ـ ٢١٧)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ١٦٦ ـ ١٧٢)، و «التاريخ والمؤرخون بمكة» (ص ٤٢١ ـ ٤٢٣)، و «أعلام المكِّيِّين» (١/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) الشريف: محمد بن عبدالمعين بن عون (١٢٠٤ ـ ١٢٧٤هـ)، والد الشريف عون الرفيق (السَّابق)، وحسين الشهيد (الآتي)، ولد ونشأ بـ «مكة المكرمة»، ثم رحلَ إلى «مِصْرَ»، وسكن فيها مدَّة، فسعى له واليها محمد علي باشا لدى السُّلطان العثماني، فَعُيِّن أميرًا على «مكة المكرمة» سنة: (١٢٤٣)، وعُزل عنها سنة: (١٢٦٧هـ)، ثم أُعيد سنة: (١٢٧٢هـ) فبقي فيها إلى أنْ تُوفِّي.

انظر ترجمته في: «مرآة الحرمين» (٣/ ٣٦٦)، و «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٩١١ ـ ١٩١٢)، و «الأعلام» (٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

وذلكَ بعد موتِ مُفتيها الشيخُ ابن ظَهيرة(١) رَحِمَهُ اللهُ، إلى أنْ وَلِيَها ابن حُمَيْدٍ.

وفي ذلك يقول الأديب السيد محمد شُكري أفندي(٢):

تَـــاجُ المَفَـــاخِرِ قَـــدْ تَكَلَّـــلْ   وَالــــدَّهْرُ بِالبُشْــــرَى تَهَلَّـــلْ
لَـــــمَّا وُلِّي الفَتْـــوَى بِمَـــــذْ   هَــبِ أَحْمَــدَ الــوَرِعُ المُفَضَّــلْ
العَــــالِمُ العَلَـــــمُ الشَّهِيــــ   ـــرُ مُحَمَّــدُ الشَّـــرْقِيْ المُبَجَّــلْ
الأَلْمَعِــــيْ الفَطِـــنُ الأَرِيْـــ   ـبُ اللَّوْذَعِيْ حَلَّالُ كُلِّ مُعْضِلْ
مَـــنْ شَـــادَ مَـــذْهَبَ أَحْمَـــدٍ   مِــنْ بَعْــدِ مَـا قَـدْ كَـادَ يُهْمَـلْ
مَـــنْ وَافَـــتِ الفَتْـــوَى لَـــهُ   كَالْبَـــدْرِ بُـــرْجَ السَّـــعْدِ حَـــلْ

[تَسْمِيَةُ أَهْلِ «الحِجَازِ» لأَهْلِ «نَجْدٍ»]:

يلاحظ في القصيدة السابقة، وصفَ العلامة ابن حُمَيْد النَّجدي بـ «الشرقي»، وسيأتي عند ترجمة الشيخ الهدهود تسمية الدهلوي له بـ

(١) الشيخ، المفتي، المُعمَّر: محمد بن يحيى، ابن ظَهيرة، القُرَشي ت (٠٠٠ ـ ١٢٧١هـ)، رجلٌ مُباركٌ، مُتعبِّدٌ، وستأتي تتمة ترجمتِه بعد قليلٍ.

انظر ترجمته في: «السُّحب الوابلة» (٢/ ٤١٩)، و «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤، ٤٦٠)، و «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٩)، و «أعلام المكِّيِّين» (١/ ١١٤).

وكلُّ مَن ترجم له فعمدتُه ابن حُميد ومرداد.

(٢) ذكر ذلك الدَّهلوي في: «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٩ ـ ١٤٢٠)، ومرداد في: «نشر النور والزهر» [الأصل]، ولم أجده في مختصره المطبوع، وقد نقل القصيدة عن الأصل مُحَقِّقا: «السحب الوابلة» (١/ ٤٨).

«الشرقي».

وهذه عادة «أهل الحجاز»، وغيرِهم، عند تسميتِهم لأهل «نجد»، ويسمونهم: «الشُّرُوق»؛ لأنَّهم شرق «الحجاز»، لذا نجد الكثير منهم ينعتون ابن حُميد، بقولهم: محمد الشرقي.

وهذا ظاهرٌ في كتب التراجم، حتَّى أنَّ عبدالحي الكتاني، وهو مغربي، ترجم له بـ: (محمد بن حُميد الشرقي)(١).

وكذا فعل ـ قبله ـ الدَّهلوي عند ترجمتِه(٢).

ونحنُ في «الحجاز» إلى اليوم نُسمِّي أهل «نجدٍ» بـ «الشُّرُوق».

[إِشْكَالٌ حَوْلَ مُدَّةِ تَعَطُّلِ «المَقَامِ الحَنْبَلِي»]:

ذَكرَ الشيخُ مرداد(٣)، وعنه المُحدِّث الدهلوي(٤)، أنَّ آخر مَن تولّى «المقام الحنبلي» الشيخ ابن ظَهيرة، وحين تُوفي سنة (١٢٧١هـ)، ظلَّ «المقام الحنبلي» مُعطَّلاً ـ بعدَ وفاتِه ـ بضع سنين، لعدمِ وُجودِ حنبليٍّ مُؤهَّلٍ يَشغله، إلى حين تولَّاه العلامة ابن حُمَيْدٍ سنة (١٢٦٤هـ).

كذا وجدتُ عندهما(٥)!

---

(١) «فهرس الفهارس» (١/ ٥١٩ ـ ٥٢٠).

(٢) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٨).

(٣) «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤، ٤٦٠).

(٤) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٩).

(٥) انظر: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤، ٤٦٠)، وعنه الدهلوي في ⇦

قلتُ: هذا التاريخُ محَلُّ إشكالٍ عندي؛ فكيف يبقى ابنُ ظَهِيرة في منصبِه حتى وفاتِه سنة (١٢٧١هـ)، وتكون تولية ابنِ حُمَيدٍ بعد وفاتِه بسنوات سنة (١٢٦٤هـ)؟!

فهل يكونُ أحدُ التاريخَيْن وَهْمٌ، سواء سنة وفاة ابن ظَهِيرة، أو سنة تولية ابن حُميد؟!

ولكن تاريخ تولية الشيخ ابن حُميدٍ لـ «المقام الحنبلي» صحيحٌ؛ فالمُؤرِّخُ الدَّهلوي يقولُ:

(تولَّى إمامة «مقام الحنبلي» سنة (١٢٦٤هـ)، كما وُجِد بخطِّه)(١) ا.هـ

وكذلك تاريخُ وفاةِ ابن ظَهِيرة صحيحٌ، فقد ذَكَرَ ذلك كُلُّ مُترجميه، دون خلافٍ، ومنهم ابن حُمَيْدٍ نفسُه، وهو عصريّه وبلديّه، وهو الذي تولّى المنصِب بعده مباشرة؛ فقد قال في مُبتدأ ترجمتِه:

(ومنهم سَلَفِي في «إفتاء الحنابلة» الشيخ محمد بن يحيى...)(٢). فذكره، وترجم له.

ولا يُمكنُ الجمعُ بين صِحة التاريخَيْن، إلا بالقول أنَّ ابنَ ظَهِيرةَ أُعفي مِن منْصِبه قبل وفاته بسنواتٍ، وذلك لأنَّه عُمِّر كثيرًا، وتُوفِّي سنة:

=

«فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٩).

(١) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤١٩).

(٢) «السُّحب الوبلة» (٢/ ٤١٩).

(١٢٧١هـ)، وعُمرُه حين وفاتِه (١٢٤) سنة(١)، فقد يَكون أُعْفي لكِبَرِ سِنِّه، وذلك قبل سنة (١٢٦٤هـ) بسنوات، وضَلَّ المنصِبُ شاغرًا بضع سنواتٍ، ثم تقلَّده ابن حُميدٍ سنة (١٢٦٤هـ)، واللهُ أعلمُ.

هذه محاولةٌ مني للجمع بين النصوص، ويبقَى بابُ تحريرِها مفتوحًا.

[فَائِدَةٌ]:

عُيِّن ابنُ ظَهيرةٍ على وظيفةِ «مُفتي الحنابلة»، في شبابِه، ومَكثَ في هذه الوظيفة نحو ثمانين سنة، يُبلِّغُ فيها دِينَ الله!

وعلَّق على ذلك ابنُ حُمَيْد بقولِه:

(لم أَعلمْ صاحِبَ مَنصِبٍ دينيٍّ، ولا دُنيويٍّ، مَكثَ هذهِ المُدَّة)(٢) ا.هـ

قلتُ: أما قولُه عنه ـ قبل ذلك ـ:

(قليلُ العِلميةِ؛ فصارَ يَكتُبُ له «الفتاوى» الشيخُ يُوشَعُ الحنبلي، من

---

(١) ذَكرَ عُمرَه مردادُ في: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٦٠)، وقال عن وفاتِه: (نقلَ بعضُ الفُضَلاءِ، عنِ الشيخِ علي حنبلي، ابنِ أختِ المُترجَم، بأنَّ عُمرَه إذ ذاك أربع وعشرون ومائة).

قلتُ: وهو قريبٌ من قولِ عصريه ابن حميد «السُّحب الوبلة» (٢/ ٤١٩): (وقد نافَ على المائة). مع أنَّ مردادَ نقل عن «سُحبِ ابن حُميد»: (وحينَ تُوفِّي له منَ العُمر مائة وبضع عشرة سنة). ولم أجدْ هذا النصَّ في مطبوعة «السُّحب»، والله أعلم.

(٢) «السُّحب الوبلة» (٢/ ٤١٩).

بيتِ «سُنبُلٍ»، ثم شيخُنا الشيخ محمد الهُدَيْبِي، ثم الحَقِيرُ)[١] ا.هـ

فمما يُفْرِزُه «هرمون المعاصرة»، كذا أحسَبُه! وإلَّا.. فكيف يُعيِّن السُّلطان العثماني ـ بتزكيةٍ من شريف «مكة» ـ رجُلاً في منصِبٍ ديني رفيعٍ ـ «مُفتٍ» ـ، ويَبقَى في منصبِه (٨٠) سنة، ثم يكونُ قليلَ العِلميةِ؟!

إلا إنْ كانَ تعيينُه بسببِ وجاهتِه، ولمكانة عائلتِه «آل ظَهِيرة»، ولاسيما أنَّهم من بيتِ عِلمٍ، وأبوه هو مَن كانَ يَشغَلُ المَنْصِبَ نفسَه.. وهذا عينُ ما يحدثُ في زمانِنا ـ أحيانًا ـ.

علمًا بأنَّ كُلَّ مَن تَرجم لابنِ ظَهِيرة، نصّوا على أنَّه تقلَّد منصِبَ «مُفتي الحنابلة»، ولم يَذكرْ أحدٌ منهم تولِّيه: الإمامة والخطابة «المقام الحنبلي»، بـ «المسجد الحرام»، أو التدريس فيه، ولم يُترجِم له الشيخ يوسف الصبحي في كتابِه: «وِسام الكَرَم في تراجم أئمة وخُطباء الحَرَم»، واللهُ أعلمُ.

* * * *

---

(١) «السُّحب الوبلة» (٢/ ٤١٩)، ويقصدُ بـ «الحقيرِ» نفسَه.

٢ ـ ابن حُمَيد الابن.

الشيخ، الفقيه: علي بن محمد، ابن حُمَيْد[١] رَحِمَهُ اللهُ (١٢٥٥ ـ ١٣٠٦هـ).

خَلَفَ والدَه على الوظيفة نفسِها، بعد موتِه، بأمرٍ من أمير «مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»، الشريف: حسين الشهيد[٢]، ومكثَ فيها، إلى أنْ عَزَلَهُ الشريف: عون الرفيق، وعَيَّن ابن هدهود (الآتي).

أمَّا مُدَّة بقائِه في هذه الوظيفة، فلا أستطيع الجزمَ بها؛ وذلك لأنَّ

---

(١) انظر ترجمته في: «عُلماء نجد» (٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٣)، و «روضة الناظرين» (٢/ ١١٤ ـ ١١٥)، و «تسهيل السابلة» (٣/ ١٧٢٤).

(٢) الشريف: حسين (باشا) بن محمد بن عبدالمعين عون (١٢٥٤ ـ ١٢٩٧هـ)، أخو الشريف عون الرفيق السَّابق، استلمَ إمارة «مكة المكرمة» بعد أخيه الشريف: عبدالله (باشا)، سنة: (١٢٩٤هـ)، فانتظمت له شؤونُها، ولكن اغتاله أفغانيٌّ، عند وصولِه إلى مدينة «جدة»، وذلك أنَّه قرُب من موكِبه، وأظهر أنَّه يرغبُ في تقبيل يده، فطعنَه بسكينٍ مسمومٍ، فمات بعد الطعنة بيومَيْن، لذا سُمِّي بـ: «حسين الشهيد».

انظر ترجمته في: «مرآة الحرمين» (١/ ٣٦٦)، و «فيض الملك الوهاب» (١/ ٥٠٣)، و «الأعلام» (٢/ ٢٥٧).

[تنبيهٌ]:

جزمتُ بأنَّ الشريفَ حسين، هو الذي عَيَّن ابن حُميد، وذلك لحدوث التعين في عهده، ولكن في الفترة نفسِها، ناب الشريفُ عون الرفيق، عن أخيه حُسين في الإمارة، فقد يكون الذي عينه، هو الشريف عون، والله أعلم.

المُحدِّث المؤرخ: عبدالستار الدَّهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

(تولى بعد أبيه «فتوى الحنابلة»، فمكث فيها أيَّامًا، وشهورًا... فعُزِلَ عن المنصب، بعد الاستعفاء، فأعفوه)[١] ا.هـ

ويقول الشيخ: عبدالله مرداد:

(جلس عِدَّةَ أشهرٍ، ثم عُزِل)[٢] ا.هـ

ويُفهم من هذيْن النَّصَّيْن؛ أنَّ الشيخَ علي بن حُميد، لم يُكملْ سنةً في هذه الوظيفة، والله أعلم.

بينما يُفهم من كلام البسَّام؛ أنَّه مكث فيها عدة سنوات، حيث يقول:

(لما تُوفي والده عام: (١٢٩٥هـ)، خلفه على منصب «الإمامة»، في «المقام الحنبلي»، كما خلفه في «إفتاء الحنابلة»، بأمرٍ من أمير «مكة»: الشريف: محمد بن عبدالمعين بن عون[٣].

واستمر في «الإمامة»، و «الإفتاء»، حتى استولى على إمارة «مكة»: الشريف: عون الرفيق، في آخر شهرٍ من القرن الثالث عشر...

[ثم ذكر قصة العلماء مع الشريف عون (وستأتي)، إلى أن قال:]

---

(١) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤٢٠).

(٢) «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤).

(٣) كذا؛ ولعله سبقُ قلمٍ منه رَحِمَهُ اللَّهُ، فالشريف: محمد بن عبدالمعين، متقدِّم على صاحب الترجمة، كما سبق في ترجمتِه قبل قليلٍ، وسبق أنْ أشرت إلى أنَّ المُتَرْجَم تقلَّد المَنْصِبَ، في عهد الشَّريف: حسين الشهيد.

فحقد الشَّريف على هذين الشَّيْخَيْن[١]، وعزلها عن منصبِهما، وصارَ بدلَ المُتَرْجَم، في إمامة «المقام الحنبلي»، و «إفتاء الحنابلة»، الشيخ: خلف بن إبراهيم ابن هدهود)[٢] ا.هـ

قلتُ: على هذا النَّص؛ فقد تقلَّد المُتَرْجَم المَنْصِبَ في عام (١٢٩٥هـ)، وعُزِلَ منه، عام: (١٣٠٠هـ)[٣].

وقريبٌ من كلامِ البسَّام، كلامُ المؤرخ القاضي، إذا يقول في ترجمة محمد ابن حُميد (الأب):

(وخَلَّفَ ابنه عليًّا، الذي خَلَفَه على «الإمامة»، و «الإفتاء»، و «التدريس»، بـ «المقام الحنبلي».

وقُبَيْل وفاتِه، خَلَفَهُ تلميذُ المُتَرْجَم له: خلف بن هدهود)[٤] ا.هـ

وفي موضعٍ آخر، حدَّد تاريخ عزله، في سنة: (١٣٠٢هـ)[٥].

ولكن الدَّهلوي ومرداد معاصران له زمانًا، ومكانًا، فالله أعلم.

[قِصَّةُ ابْنِ حُمَيْدٍ الابْنِ، مَعَ الشَّرِيفِ عَوْنٍ]:

---

(١) ابن حُمَيْد وسراج، وسيأتي خبرهما بعد قليلٍ.

(٢) «عُلماء نجد» (٥/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) وكرَّر البسام الخبر في موضعٍ آخرٍ، من الكتاب نفسه: «عُلماء نجد» (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩)، ونَصَّ على أنَّ ذلك كان عام: (١٣٠٠هـ).

(٤) «روضة الناظرين» (٢/ ٢١٦).

(٥) انظر: «روضة الناظرين» (٢/ ١١٤ ـ ١١٥).

ذكرتُ في ترجمته، أنَّه تَركَ وظيفتَه في «المقام الحنبلي»، ولكن اختلفتِ الرِّواية في تركِه لوظيفته، فقيلَ إنَّه مكثَ في وظيفته، إلى أنْ عَزَلَهُ الشريف: عون الرفيق.

وقيل: إنه عُزِلَ، بعد أن استعفى هو[1]؛ فيكون قد أُعفي، ولم يُعزل عنوة.

وقصةُ عزله مذكورةٌ في مصادر ترجمته، وتدلُّ على شجاعته، وقوة صدعه بالحق، وأنَّه لا يخاف في الله لومة لائمٍ، ولولا تخاذل بعض من كان معه، لأطاح هذا الشيخ النَّجْدي، بالشريف عون، الذي عُرِفَ بظلمه!

يقول الفقيه المُؤرِّخ: عبدالله البسام رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لما تُوفي والدُه عام: (١٢٩٥هـ)، خلَفَه على مَنصبِ «الإمامة»، في «المقام الحنبلي»، كما خَلَفَه في «إفتاء الحنابلة»، بأمرٍ من أمير «مكة»: الشريف: محمد بن عبدالمعين بن عون[2].

واستمر في «الإمامة»، و «الإفتاء»، حتى استولى على إمارة «مكة»: الشريف: عون الرفيق، في آخر شهرٍ من (القرن الثالث عشر)، فلم يَسرْ في البلاد والرعيَّة، سيرةً حسنةً، وذلك من حيث وجود الظلم، ومن حيث تفشي الأخلاقيات منه، ومن حيثِ عدمِ ترتيبِ وتنظيمِ أُمورِ البلادِ والعِباد.

(١) كما في «الفيض» (٣/ ١٤٢٠)، وعنه «التسهيل» (٣/ ١٧٢٤).

(٢) الصواب: الشَّريف: حسين الشهيد، وسبق التنبيه على هذا قبل قليلٍ.

فاجتمعَ عُلماء «مكَّة»، وكتبوا رسالةً مُطوَّلةً إلى السُّلطان عبدالحميد، وذكروا فيها ما انتقدوه على الشريف عون، ورفعوها إلى «الباب العالي».

فجاءَهم من أعيان «مكّة» و «جدة» مَن نبَّهَهم إلى غفلتِهم، من أنَّ السُّلطانَ سيبعثُ، مُحقِّقين في الأمرِ، وأنَّهم لن يجدوا مَن يَشهد ضدَ أميرِ «مكة»، وأنَّه من السياسةِ أنْ يَكتبَ بعضُهم، ويبقى البعضُ الآخر لأداء «الشَّهادة»، وتأكيد ما ذكره إخوانهم في «المُذكِّرة».

فانتبهوا إلى غفلتِهم، وطلبوا من الوجيه: عُمر بن عبدالله نصيف، وهو جد الشيخ محمد حسين نصيف، طلبوا منه أنْ يصلح بينهم وبين الشريف عون[1].

فلمَّا ذهبَ الشيخُ عُمر نصيف إلى عون لهذا الغرض، وافقَ على ذلك بشرط، أنْ يأتي كُلُّ واحدٍ منهم، فيكتبَ بخطِّ يده، فيُكذِّب نفسَه.

ففعلوا ذلك، إلا ما كانَ مِن «مُفتي الأحناف»: العلامة عبدالرحمن سِراج[2]، والشيخ علي بن حُميد، «مُفتي الحنابلة»، فإنَّهما أصرَّا على أنَّ ما

---

(١) في: «عُلماء نجد» (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩):

(فأرادوا إرضاء الشريف ومصالحته، ووسطوا بعض أعيان «مكَّة» و «جدة»، فاصطلحوا مع الشريف، إلَّا والد المُترجَم [أي: ابن حُمَيد الابن المذكور هُنا]، والشيخ العلامة عبدالرحمن سِراج «مفتي الحنفية»؛ فإنَّهما أصرَّا على المضي في «الشِّكاية»، والبقاء عليها؛ فحقد الشريف..).

(٢) الشيخ، المفتي: عبدالرحمن بن عبدالله سِراج (١٢٤٩ ـ ١٣١٤هـ)، شيخ عُلماء ⇦

قالاه حقٌّ، وأنَّهما لنْ يرجِعا عمَّا كتبا.

فلـمَّا جـاء الْمُحقِّقـون فشـلتِ «الشـكوى»، بسـبب المُداهنـة، وضَـعْفِ التحقيق.

فحقدَ الشَّريفُ على هذين الشَّيْخَيْن، وعزلهما عن منصبِهما)[1] ا.هـ

وقال في موضعٍ آخر:

(فأرادوا إرضاء الشريف ومصالحته، ووسطوا بعض أعيان «مكَّة» و «جدة»، فاصطلحوا مع الشريف، إلَّا والد الْمُترجَم [أي: ابن حُمَيد الابن =

«مكة»، ومُفسّرها، وراويها، عينه الشريف عبدالله باشا رَحِمَهُ اللهُ ت (١٢٩٤هـ)، في منصِب «مفتي الحنفية» بـ «مكة»، فلم يأخذْ جُعْلاً على عملِه، وكان فيه نزيهًا، ورِعًا، كثيرَ التَّحرُّجِ، لا يقبل الهدايا، صَلْبًا في أمورِ الدِّين، لا تَأْخُذه في الله لومةَ لائمٍ، مُحِبًّا للكُتب، وشرائها، واستنساخِها، ومتابعة أخبارِها، له: «ضوء السِّراج على جواب المحتاج»، و «مجموعة» في الفقه تشتمل على غرائب المسائل.

و «بيت سِراج» من البيوت العِلمية في «الحجاز»، وهم باقون إلى اليوم.

انظر ترجمته في: «إيضاح المكنون» (٤/ ٧٤)، و «هدية العارفين» (١/ ٥٥٨)، و «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٢٤٣)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ٩٦)، و «سير وتراجم» (ص ٢٧٤)، و «أعلام الحجاز» (٣/ ٣٣٩)، و «أعلام المكيين» (١/ ٤٩٧).

(١) «عُلماء نجد» (٥/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

وأعادَ البسَّام القصةَّ في المرجِع نفسِه، في أثناء ترجمة ابن حُمَيد الحفيد (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

المذكور هُنا]، والشيخ العلامة عبدالرحمن سراج «مفتي الحنفية»؛ فإنَّهما أصرَّا على المضي في «الشِّكاية»، والبقاء عليها؛ فحقد الشريف..)[1] ا.هـ

وقال المؤرِّخ: محمد بن عثمان القاضي:

(كانَ آيةً في الزُّهدِ، والورَع، والتُّقى، ويَصدعُ بكلمةِ الحقِّ، لا يخاف في الله لومةَ لائمٍ...

وفي سنة (١٣٠٢هـ) حصلَ من الشريف عون اعتداءٌ، وجَوْرٌ على الحُجَّاج، وعلى المواطنين، فاجتمعَ عُلماءُ «مكَّة»، ورفعوا فيه «شِكايةً» إلى السُّلطان عبدالحميد، فأجابَهم السُّلطانُ: بأننا سنُحقِّق في شكواكم، فإنْ لم تثبت الإدانة، بأنْ لم تجدوا شهودًا، رجعتُ عليكم.

فرجعوا إلا المُترجَم له، والشيخ عبدالرحمن سراج، «مُفتي الحنفية»، فصمَّموا؛ فحقدَ عليهما الشريف، وعزلهما)[2] ا.هـ

قلتُ: وقد عاصرَ هذه القصة المُحدِّث: عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ، وتكلَّم عنها باختصارٍ؛ فقالَ عن ابن حُميد (الابن):

(تولَّى بعد أبيه «فتوى الحنابلة»، فمكث فيها أيَّامًا، وشهورًا، فقيل له: اخْتِم على مَضْبطة، فتوَرَّعَ من الختم عليها، ولله عاقبةُ الأمور؛ فعُزِلَ عن

(١) «عُلماء نجد» (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) «روضة الناظرين» (٢/ ١١٤ ـ ١١٥).

المنصب، بعد الاستعفاء، فأعفوه)[١] ا.هـ

* * * *

(١) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤٢٠).

٣ ـ ابن هدهود:

الشيخ، الفقيه: خلف بن إبراهيم، ابن هدهود[١] رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٤٠تقريبًا ـ ١٣١٥هـ تقريبًا)، وهو من تلاميذ الأول، ومن شيوخ الثاني.

عَيَّنَه الشريف: عون الرفيق، خَلَفًا للذي قبله، وهو ابنُ حُمَيد (الابن)، ومكث إمامًا لـ «المقام الحبنلي»، حَتَّى وفاته سنة: (١٣١٥هـ)، فتكون مدةُ قيامِه بالمهمة: (خمسةَ عشرة) سنة[٢].

وقد أثنوا عليه، عند قيامِه بهذه الوظيفة، فقال الدهلوي:

(قام فيها أحسنُ قيامٍ، وأتم، وهو فَاضلٌ، مُنكسرٌ)[٣] ا.هـ

---

(١) انظر ترجمته في: «عُلماء نجد» (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٧)، و «روضة الناظرين» (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، و «تسهيل السابلة» (٣/ ١٧٢٢).

ذكر القاضي في: «روضة الناظرين»، أنَّ ولادته كانت سنة: (١٢٤٠هـ تقريبًا).

قلتُ: وقد وُجِدَت ـ كما في: «عُلماء نجد» ـ نسخةٌ خطيةٌ لـ: «أخصر المختصرات» للبلباني، كتبها بخَطِّه، وذكر أنَّه فرغ من نسخها عام: (١٢٦٤هـ). وعليه؛ فتقديرُ تاريخ ولادته، قريبٌ، والله أعلم.

وقد ذكره الدَّهلوي في «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤٢٠)، وسمَّاه: (خلف الشرقي)، وسبق ذِكرُ هذا اللَّقب على أهل «نجد»، وتفسيرُه.

(٢) ذكر ابن حمدان في: «تراجم لمتأخري الحنابلة» (ص ٢٨)، أنَّه مكث في منصبه (١٠) سنوات تقريبًا، والله أعلم.

(٣) «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤٢٠).

[«المَقَامُ الحَنْبَلِي» بَعْدَ ابْنِ هَدْهُودٍ]:

بعد الشيخ ابن هدهود ولي «المقامَ الحنبلي»، غَيْرُ واحدٍ، من غير «الحنابلة»؛ لعدم وجودِ حنبليٍّ، مُؤهَّلٍ، يشغله في «مكة المكرمة»، في تلك الفترة، ويرجع السبب الرئيس ـ في ذلك ـ إلى انحسار «المذهب الحنبلي» في القرون المتأخرة، وقِلَّة أتباعِه، سوى قلةٍ في «الشَّام»، وأقلَّ منها في «القاهرة».

أمَّا «نجد»، فهي ـ يومئذٍ ـ معقِل «الحنابلة»، ومركزهم، وأهْلها ـ في ذلك الوقت ـ هم أتباع «الدعوة السَّلفية»، والذين يُنْعتون بـ «الوهابية»، وفيهم عُلماء فقها، ومُحدِّثون.

ولكن انصراف الشريف عون، عن استقدام أحد عُلماء «نجد»، ليكون إمَامًا لـ «المقام الحنبلي» بـ «مكة»، يمكن إرجاعه إلى سببين:

السبب الأول: ما جرى بين اتباع «الدعوة السلفية»، وبين مناوئيهم، ولاسيما «العُثْمانيين» و «المصريين»؛ فرأى أنَّه من غير المناسب استقدام أحدِهم، ليُوكِل إليه هذه المُهِمَّة، مع أنَّه لم يكن يختلف معهم في «المنهج»، وهدمه لـ «القِباب» التي على القبور، و «المزارات»، خيرُ شاهدٍ.

أمَّا تعيين العلامة ابن حُميد؛ فلكونه انحاز عن «الدعوة السلفية»، وذمَّها، وهضم حقَّها، وانتقص من رجالها، وتجاهل تراجمهم في كتابه «السحب الوابلة»، فلم يكن تعيين مثله، محل إشكالٍ عند عامة الناس، والذين، أخذوا صورة غير صحيحة عن «الدعوة السلفية».

وكذلك تعيين ابنِه (ابن حُمَيد الابن)؛ فجاء خلفًا لأبيه، لأهليته أولاً، ولقبول ذلك وفق نِظام توارث المناصب، وهو نظامُ مُتَّبعٌ في كثير من المجتمعات.

السبب الثاني: أنَّ منهج «الدعوة السَّلفية» يتعارض مع فكرة «المقامات» الأربع، التي أُحْدِثتْ في «المسجد الحرام»، ولا أدلّ على ذلك، من قيام الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ بإزالتها حين دخوله «الحجاز»، كما سبق ذِكره.

لذلك جمع الشريف عون الرفيق فقهاء «مكة المكرمة» من «المذاهب الثلاثة»، وقال لهم: إنَّ «المقامَ الحنبلي» مُعَطَّلٌ من إمامٍ ومفتٍ، ونحنُ إذا أردنا إمامًا ومُفتيًا؛ بحثنا عنه من أهل «نجدٍ». فَلِمَ لا يُقَلِّد أَحَدُكم «مذهبَ الحنابِلَةِ»، ويتولى هذا المَنْصِبَ؟!

فقالَ الشيخُ: أحمد فقيه[1] رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) الشيخ، الفقيه، الأديب: أحمد بن عبدالله بن جعفر، فقيه، المكي، الشافعي (١٢٧٣ ـ ؟؟؟هـ)، إمام وخطيب «المسجد الحرام»، وُلِد ونشأ بـ «مكة»، حفِظ «القرآن»، وطلب العِلم، وقرأ على العُلماء، ولكن كان ميله لـ «الأدب» أكثر، وله نظمٌ ونثرٌ، وجمع «ديوان خُطبٍ» منبرية، وطبعه.

وقد عاصره الشيخان مرداد والدَّهلوي، فترجم له مرداد، وعنه الدهلوي، ولم يذكرا تاريخ وفاتِه، فلعلَّه تُوفِّي بعدهما، ومن ترجم له بعدهما، لم يزيدوا عما قالاه.

انظر ترجمته في: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ١١٠)، «فيض الملك الوهاب» (١/ ٢٢٠)، و «نظم الدُّرر» (٢/ ٤١٥)، و «أعلام المُكِّيِّين» (٢/ ٧٣٠)، و «وسام ⇦

(أنا سَأُقَلِّدُ «مذهب الإمام أحمد»، وأكونُ الإمامَ لـ «المقام»، والمفتي لحنابلة «مكة المكرمة»).

فتولَّى ذلك، ومكث فيه إلى عام: (١٣٢٦هـ)، حيث عزله الشريف: الحسين بن علي، وعَيَّن بدلاً منه: الشيخ: أبا بكر خُوقِير[1].

ثم عزله بعد يومين، وَعَيَّن الشيخ، الفقيه: عبدالله ابن حُمَيْد (الآتي).

= الكرم» (ص ١١٨).

(١) هو: العالم، المحدّث، الفقيه: أبو بكر بن الشيخ محمد عارف ابن العلامة الشيخ: عبدالقادر بن محمد خوقير، الكُتبيُّ، الحنبلي، السَّلفي، المكِّي (١٢٨٤ ـ ١٣٤٩هـ)، مفتي الحنابلة بـ: «باب السلام».

كان رَحِمَهُ اللهُ يسافرُ إلى «الهند» لجلب كتب السَّلف، ونشرها بـ: «مكة المكرمة»، وله جهودٌ مباركة في نشر التوحيد، والدعوة إليه، ومحاربة البدع، والخرافات، فحصل له بذلك مضايقات انتهت بسجنه، ووُضِعَ مع المجرمين في غرفةٍ واحدةٍ، حتى أخرجه الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ سنة: (١٣٤٣هـ).

له من المصنفات: «فصل المقال وإرشاد الضَّال في توسُّل الجُهَّال»، و «ما لا بد منه في أمور الدين» في العقائد، كتبه على طريقة السَّلف، و «مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف»، و «مختصرٌ في فقه الإمام أحمد».

انظر ترجمته في: «نموذج من الأعمال الخيريّة» (ص ٩٨ ـ ١٠١)، و «مشاهير علماء نجد» (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٣)، و «تسهيل السابلة» (٣/ ١٧٩٧ ـ ١٧٩٨)، و «الأعلام» (٢/ ٧٠)، وعنه: «معجم المؤلفين» (١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥)، و «سير وتراجم» (ص ٢٢ ـ ٢٤).

وقد ذكر الشيخُ: يوسف الصبحي أنَّ الذي خَلَفَ الشَّيْخَ: خلف الهدهود، هو ابنه: الشيخ: إبراهيم بن خلف الهدهود.

ولكنَّه لم يذكر مصدره في ذلك، ولم يُترجم للشيخ إبراهيم، وهو على شرط كتابِه، ولم يحل إلى مصادر ترجمته(١)، فالله أعلم.

وقد أشار الشيخُ البسَّام في: «علماء نجد» (٢/ ١٥٦) إلى: إبراهيم بن خلف الهدهود، وقال نقلاً عن الشيخ المؤرخ: محمد بن علي آل عبيد:

(وأعرفُ ابنَه إبراهيمَ، الذي أدركتُه يخيط «المشالح»، في سوق «الجودرية»، في «مكة المكرمة»، والابن تُوفِّي بعد ولاية جلالة الملك: عبدالعزيز آل سعود، على «الحجاز»، وممن يعرفُ ابنَه: الشيخُ: سليمان الصنيع، وليس للابن (إبراهيم) إلا بنات، فيكون قد انقطعَ عقب المُتَرْجَم (خلف)، إلا من البنات)(٢) ا.هـ

هذا ما وقفتُ عليه، من حياة الابن: إبراهيم بن خلف الهدهود، ولا شك أنَّ العلامة عبدالله البسَّام مُؤَرِّخُ «حنابلة نجدٍ» بلا منازع، فيُقدَّم قولُه على قولِ الشيخ يوسف الصبحي ـ على أهمية كتابِه ـ، ولاسيما أنَّه ذكر قوله مرسلاً، دون استناده إلى مرجع،والله أعلم.

[إِشْكَالٌ فِي تَارِيخِ تَعْيِينِ الشَّيْخِ أَحْمَدُ فَقِيه]:

---

(١) «وسام الكرم» (ص ١٧١).

(٢) «علماء نجد» (٢/ ١٥٦).

ذكر البسَّامُ أنَّ الشيخَ أحمد فقيه، تولى «المقام الحنبلي»، بعد ابن هدهود، وبقي فيه إلى سنة: (١٣٣٢هـ)، وبعده تولَّى «المقام» أبو بكر خُوقير[١].

ولعلَّه سبقُ قلمٍ منه، والصَّوابُ: أنَّ الفقيهَ بقي في المَنْصِب إلى سنة: (١٣٢٦هـ)، ثم عُزِل، كما عند البسام في في موضعٍ آخر[٢]، وهذا ما نصَّ عليه مرداد في: «نشر النور والزهر»، وفيه:

(ثم وليها الشيخ أحمد فقيه، ومكث فيها إلى سنة: (١٣٢٦هـ)، ثم عَزَلَه منها الشريف حسين، وولى الشيخ: [أبو] بكر خُوقير إفتاء المذهب المذكور، ثم بعد نحو يومَيْن عَزَلَه، وولى الشيخ: عبدالله بن علي ابن المُتَرْجم، مفتيًا)[٣] ا.هـ (مختصرًا).

كما نَصَّ من ترجم لأبي بكر خُوقير، أنَّه استلمَ «المقام» بعد الفقيه، ونصُّوا على هذا التاريخ، إلا أنَّ الزركلي، حدَّدَه بـ (١٣٢٧هـ)[٤]، فلم يبعد كثيرًا، والله أعلم.

* * * *

(١) «عُلماء نجد» (٦/ ١٩٤).

(٢) «عُلماء نجد» (٢/ ١٥٦).

(٣) «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤).

(٤) «الأعلام» (٢/ ٧٠).

٤ ـ ابن حُمَيد الحفيد:

الشيخ، الفقيه: عبدالله بن علي بن محمد، ابن حُمَيْد[١] (١٢٩٢ ـ ١٣٤٦هـ)، حفيد الأول، وابن الثاني، وهو مُؤَلِّفُ:

ـ «الدُّرِ المُنَضَّدِ فِي أَسْمَاء كُتُبِ مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ».

ـ و «النَّعْتِ الأَكْمَلِ فِي تَرَاجُمِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ».

عَيَّنه أمير «مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»، الشريف: حسين[٢] سنة: (١٣٢٦هـ)، وذلك بعد مُدَّةٍ قليلة من تولّيه الإمارة، ولم تَطُلْ مُدة تولّيه «الإمامة»، و

---

(١) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٤/ ١٠٨)، و «عُلماء نجد» (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٤٣)، و «روضة الناظرين» (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥)، و «أعلام المكِّيِّين» (١/ ٣٩ ـ ٤٠).

وانظر: «نشر النور والزهر» (المختصر ـ ص ٤٢٤).

(٢) الشريف (الملك): حسين بن الشهيد علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون (١٢٧٠ ـ ١٣٥٠هـ)، وهو ابن أخي الشريف عون الرفيق (السابق)، ولي الإمارة من قبل «الدولة العثمانية» سنة: (١٣٢٦هـ)، وعند «الحرب العالمية الأولى»، خرج عليهم، وأخرجهم من «مكة المكرمة»، وصار يُدْعى بـ «الملك حسين» سنة: (١٣٣٣هـ).

وبعدها أخذ جميع الأراضي، التي كانت تتعلّق بـ «المحاكم العثمانية»، تحت ولاية «مكة المكرمة»، وهو أَوَّلُ من قام باستقلال العرب، عن «الدولة العثمانية»، وآخر من حكم «الحجاز»، من الأشراف.

انظر ترجمته في: «مرآة الحرمين» (٣/ ٣٦٦)، و «فيض الملك الوهاب» (١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥)، و «الأعلام» (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

«الإفتاء»، فبعد قيام الشريف: حسين بالثورة على «الخلافة العثمانية»؛ طَلَبَ من الشريف الإعفاء؛ فأعفاه.

وقد تولى المَنْصِب بعد الشيخ: أبو بكر خُوقير، كما تقدَّم قبل قليل في الهامش، وهذا ما اتفقت عليه المصادر، باستثناء الدَّهْلَوي، فقد ذكر أنَّه تولى المَنْصِب بعد الشيخ: أحمد الفقيه، دون أنْ يذكر خوقير بينهما، ولعلَّه فعل ذلك اختصارًا، في ذكر من استلموا «المقام الحنبلي»، ولاسيما أنَّه ذكر ذلك في ترجمة ابن حُميد (الجد)، ثم ذكر ابنه، فناسب أن يذكر في الموضع نفسِه حفيده، فاختصر مَنْ بينهم[1]، والله أعلم.

* * * *

(١) انظر: «فيض الملك الوهاب» (٣/ ١٤٢٠).

[الخَاتِمَةُ، وَخُلَاصَةُ البَحْثِ، ونَتِيجَتُهُ، وَتَوْصِيَاتِهِ]

ظَهرَ مما سبق:

١. أنَّ «الحرمَ المكي» كان فيه أربعة «مقامات» مذهبية، كُلُّ مذهبٍ منَ «المذاهب الأربعة» له مقامٌ، وهي بِدعةٌ مُحْدَثةٌ، فرَّقتِ المُسلمين في صلاتِهم، وكانت هذه المقامات تجمعُ: الإمامة، والخطابة، والإفتاء، والتدريس وفق «المذهب» الذي ينتمي إليه كُلُّ مقامٍ.

٢. تم إبطال هذه البدعة، من قِبل الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين دخولِه «الحجاز»، وضمِّها إلى مملكتِه في «نجدٍ» وملحقاتِها.

٣. الشريف عون الرفيق، كان ذكِيًّا وحازمًا، وهو ممن تبنَّى «العقيدة السَّلفية»، وحارب البِدع والخُرافات، وكلامُ اللواء إبراهيم رِفعت عنه، فيه تحاملٌ واضحٌ، وكثيرٌ منه كلامٌ مُرسلٌ، يفتقِدُ إلى إثباتٍ، وأنا ـ هُنا ـ لا أُدافِع عن الشريف عون، ولكن أتمنى قيام دِراسةٍ مُنْصِفة ومُتوازنة عنه.

٤. تُعتَبر «نجد» معقِل «الحنابلة»، ومركزهم العِلمي، مُنذ عدة قرون مضتْ، وحتَّى اليوم، وبلغ من قُوّة مركزِهم، أنَّ «أشراف الحجاز»، حين يُريدون مَن يَشغل منصِبًا «حنبليًّا»، لا يجدون الكفاءة إلا في «نجدٍ»، فيقبلون بهم، رغم ما بين «نجدٍ» و «الحجاز» من مدٍّ وجزرٍ!

٥. مرَّ على «الحرم المكي»، مُدَّةً زَمنيةً، لا يتولّى الوظائف الدينية فيه، والمُتعلِّقة بـ «الحنابلة»، كـ: الإمامة، والخطابة، والإفتاء، والتدريس، إلا

فقهاء «نجدٍ»، وربما خلا «المقام الحنبلي» مُدَّةً، إذا لم يجدوا مَن يَشغله من فقهاء «نجد».

٦. أصلُ هذا البحث، يُؤكّد دور وأثر «حنابلة نجد»، خارج إقليمهم، في توطين «المذهب الحنبلي» ونشره، والدعوة إلى «الدِّين الصحيح»، وإيضاح «المُعتقد السَّلفي»، والتعليم، وطباعة الكتب.

فلهم دورٌ يُذكر فيُشكر، في «العراق»، و «الشَّام»، و «مصر»، و «قطر»، و «الهند»، وغيرها.

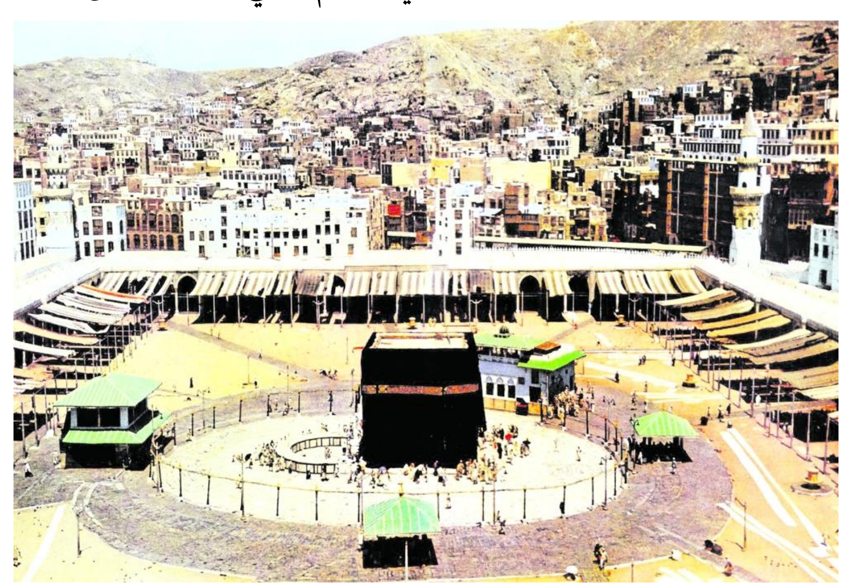
وقد وقفتُ على مواد عِلمية لذلك؛ تصلح لتكون بحثًا برأسهِ، والمراد من البحث، هو دورُ «حنابلة نجد» في أثناء وجودِهم خارج إقليمهم.

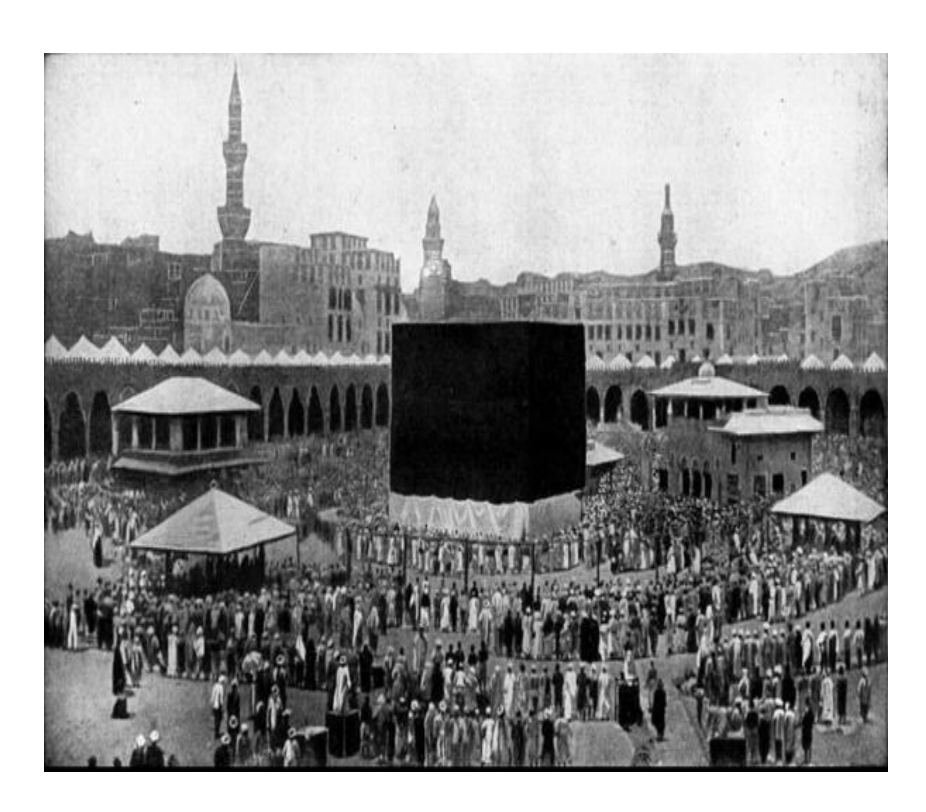
٧. التاريخ لا يرحم، يُدوِّن كُلَّ شيءٍ حدث في العصر، بحُلوه ومُرّة، شاءَ أصحاب هذا العصر، أم أبوا؛ وليسَ كُلَّ مَن دوّن التاريخ يُقبل منه، ولو كان مُعاصرًا للأحداث، فقد يَهِم في أثناء سرد الرواية، وقد يُخطئ في التحليل، أو يُبالغ في النَّقد، أو يأكلُه داءُ الأقران، فيتحامل في كتابتِه.

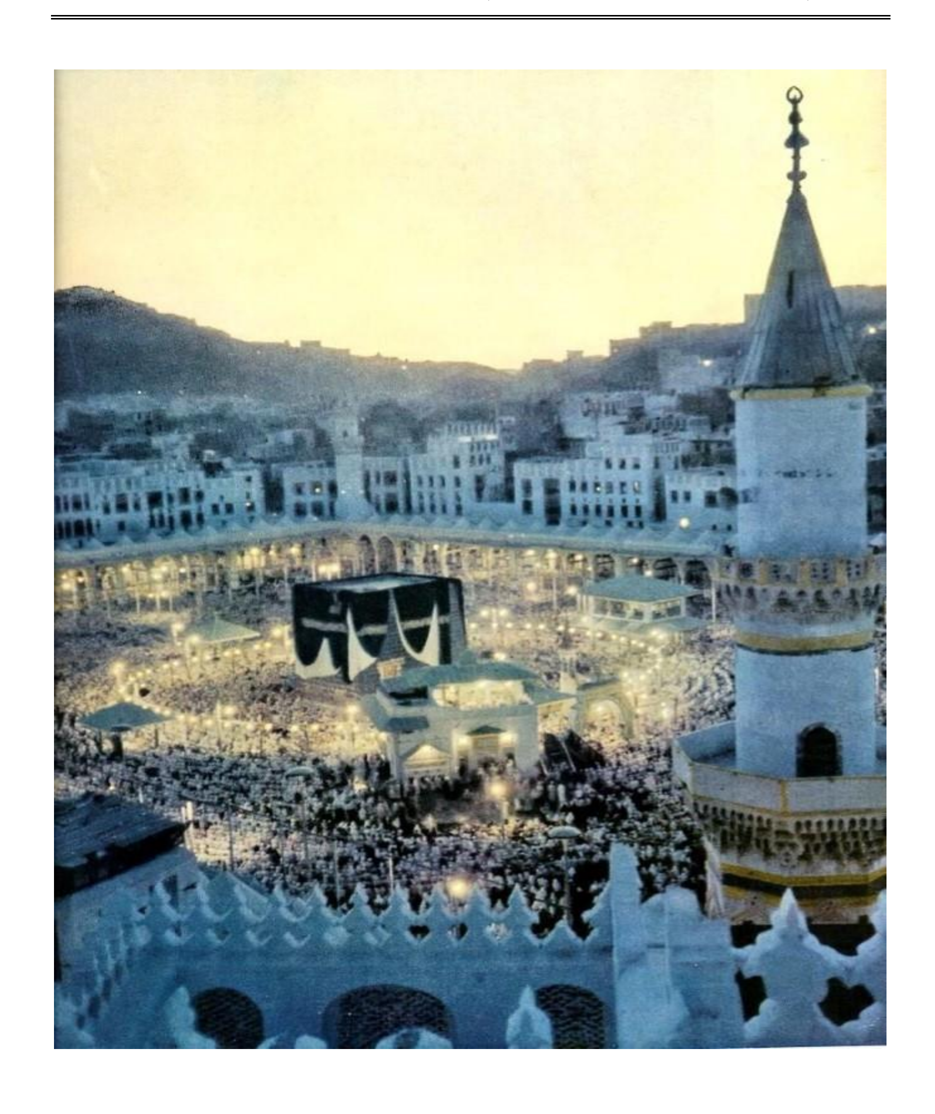




[الملاحق: صورٌ نادرةٌ لـ «المقامات» في «الحرم المكي»، وانظر (ص ٩)]







[المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ]

(١) **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية ـ** محمد علي مغربي ـ تهامة (جدة) ـ ط الأولى (١٤١٠هـ).

(٢) **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ـ** خير الدين محمود الزِّرِكْلي ت (١٣٩٦هـ) ـ دار العلم للملايين (بيروت) ـ ط السَّادسة (١٩٨٤م).

(٣) **أعلام المكيين (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري) ـ** عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٢١هـ).

(٤) **إيضاح المكنون في الذيل على «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ـ** إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي ت (١٣٣٩هـ) ـ المطبعة الإسلاميّة (طهران) ـ ط (١٣٨٧هـ) ـ [تصوير: دار الكتب العلميَّة (بيروت) ـ ط (١٤١٣هـ)].

(٥) **التاريخ والمؤرخون بـ «مكة» من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر (جَمْعٌ، وعَرْضٌ، وتعريفٌ) ـ** د. محمد الحبيب الهيلة ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٩٩٤م).

(٦) **تراجم لمتأخري الحنابلة** ـ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان ت (١٣٩٧هـ) ـ ت. د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ دار ابن الجوزي (الدمام) ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ).

(٧) **تسهيل السابلة لمريد معرفة «الحنابلة»** ـ صالح بن عبدالعزيز العثيمين ت (١٤١٠هـ) ـ ت. د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(٨) **روضة النَّاظِرين عن مآثر علماء «نجد» وحوادث السنين** ـ محمد ابن عثمان القاضي ـ مطبعة الحلبي (القاهرة) ـ ط الثَّالثة (١٤٠٣هـ).

(٩) **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرَّابع عشر للهجرة** ـ عمر عبدالجبار ت (١٣٩١هـ) ـ تهامة (جدة) ـ ط الثَّالثة (١٤٠٣هـ).

(١٠) **عُلماء «نجد» خلال ثمانية قرون** ـ عبدالله بن عبدالرحمن آل بَسَّام ت (١٤٢٣هـ) ـ دار العاصمة (الرِّياض) ـ ط الثانية (١٤١٩هـ).

(١١) **فِهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ـ عبدالحي بن عبدالكبير الكتَّاني ت (١٣٨٢هـ) ـ ت. د. إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي (بيروت) ـ ط الثَّانية (١٤٠٢هـ).

(١٢) **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي** ـ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي ت (١٣٥٥هـ) ـ ت. أ. د. عبدالملك بن عبدالله ابن دهيش ـ مكتبة الأسدي (مكة المكرمة) ـ ط

الأولى (١٤٢٩هـ).

(١٣) **المختصر من كتاب: «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر»** ـ عبدالله مردَاد أبو الخير ت (١٣٤٣هـ) ـ اختصار وترتيب وتحقيق. محمد سعيد العامودي، وزميله ـ عالم المعرفة للنشر والتوزيع (جدة) ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ).

(١٤) **مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (محلاة بمئات الصور الشمسية)** ـ لواء. إبراهيم رفعت باشا. [تصوير].

(١٥) **مشاهير علماء «نجد» وغيرهم** ـ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ت (١٤٠٦هـ) ـ دار اليمامة (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٣٩٢هـ).

(١٦) **معجم مصنفات الحنابلة (من وفيات ٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ)** ـ أ. د. عبدالله بن محمد الطريقي ـ النَّاشر: المؤلف (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(١٧) **مُعجم المؤلِّفين** ـ عمر رضا كحَالة ت (١٤٠٨هـ) ـ مؤسسة الرِّسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٤هـ).

(...) نشر النور والزهر = المختصر من كتاب: «نشر النور والزهر».

(١٨) **نضم الدرر في اختصار: «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر»** ـ عبدالله بن محمد الغازي المكي ت (١٣٦٥هـ) ـ ت. أ. د. عبدالله بن عبدالله بن

دهيش ـ المكتبة الأسدية (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٣٤هـ).

(١٩) **نموذج من الأعمال الخيريَّة في: «إدارة المطبعة المنيريَّة»** ـ محمد منير بن عبده آغا ت (١٣٦٧هـ) ـ المطبعة المنيريَّة (القاهرة) ـ ط (١٣٥٨) ـ [تصوير: مكتبة الإمام الشَّافعي (الرِّياض)].

(٢٠) **هَدِيَّة العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنفين من: «كشف الظنون»** ـ إسماعيل باشا بن محمد البغدادي ت (١٣٣٩هـ) ـ المطبعة الإسلاميَّة (طهران) ـ ط (١٣٨٧هـ) ـ [تصوير: دار الفكر (بيروت) ـ (١٤٠٢هـ)].

(٢١) **وِسام الكَرَم في تراجم أئمة وخُطباء «الحرَم» (تراجم أئمة وخُطَباء «المسجد الحرام» عبر العصور)** ـ يوسف بن محمد الصبحي ـ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٦هـ).

* * * *

[فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ وَالفَوَائِدِ]

* * * *